



بحيرة الحولة وما حولها

د. نجلد الخضرا / دمشق

يصف الرحالة ناصر خسرو الحولة فيقول: الحولة معدن الأقطان والازهار وهي أغوار وأنهار [1]

ويقول العلامة محمد كرد علي: أما في جنوب الشام فلسطين فأعظم الأراضي شأنها ما يسمى شمال بحيرة الحولة حيث النهر الحاصباني والبانياس والدان أي أصل الأردن [2].

ويقول الرحالة روبنسون الذي زار المنطقة عام 1838م: في سهل الحولة التربة متناهية الخصب تصلح لزراعة الحبوب وتنتج كميات كبيرة من الغلال والقمح والشعير والذرة الصفراء والبيضاء والسمسم والأرز وغيرها دون جهد ومشقة ... ويربي الغوازنة النحل في ك福德ان اسطوانية مصنوعة من القضبان المتتشابكة المطلية بالطين وتغطي بالقش ورأينا المئات منها في سهل الحولة والنحل يجني من زهره النضر الدائم [3].

سهل الحولة منطقة زراعية تقع شمال فلسطين وهي من أخصب البقاع في فلسطين والعالم وذلك لوفرة مياهها ومحطة لاستراحة الطيور المهاجرة على طول الوادي المتتصعد الكبير بين افريقيا وآسيا وأوروبا الحولة منها البحرة ومنها السهل ومنها برك الغاب أو المستنقعات. يقع سهل الحولة في أقصى الشمال الشرقي من فلسطين حيث يحده جبل الشيخ ومرتفعات الجولان السورية ومن الشمال جبال عامل اللبنانيه ولهذا كان سهل الحولة معبرا رئيسيا بين الشمال والجنوب من بلاد الشام إلى مصر ولا سيما عبر جسر بنات يعقوب وظل لحقبة طويلة من الزمن معبرا للقوافل والجيوش القادمة من الشمال إلى الجنوب وبالعكس [4] ومن الشرق الجولان السوري ومن الغرب جبال الجليل الفلسطينية ومن الجنوب جسر بنات يعقوب حيث يبدأ نهر الأردن بالانحدار نحو بحيرة طبرية، وتقدر مساحة السهل 115 كم مربع، تقع الحولة على خط الغور الأعلى: والغور هي الأرض الغائرة بين جبلين وتغور الحولة في كتف الجليل [5].

أما البحيرة فهي صغيرة حلقة المياه محاطة بمستنقعات، تقع شمال بحيرة طبريا على مسار نهر الأردن احتلت مساحة 14 كم مربع، وأخذت شكل الكمثرى تتعرج عض سواحلها بزوايا بارزة ولا يخلو وسطها من الجزر الصغيرة تبلغ مساحتها 14 كم مربع وامتدت المستنقعات حولها مساحة 60 كم مربع وكان عمق البحيرة الأقصى 6 أمتار ويقل إلى 2 م ولا يتجاوز طولها 6 م

وغرضها يبلغ 4,4 كم من طرفها الشمالي و 0,8 كم من الطرف الجنوبي، لا تشغّل البحرة وسط السهل الوادي تماماً فهي أقرب إلى الشرق وكانت الاهوار والمستنقعات تحف بشواطئ البحيرة الشمالية وتحتل مساحة أكبر من شواطئ البحيرة ذاتها وتعطى مع البحيرة النصف الجنوبي من الوادي الذي يبلغ طوله 25 كم أي أن طول البحيرة مع المستنقعات 13 كم

قام العدو الصهيوني بتجفيف البحيرة بدأً من عام 1951 وحتى عام 1957 وتحويلها إلى أرض زراعية

سميت بالحولة نسبة إلى حول أو شول أحد أبناء آرام وقد أطلق عليها السكان المحليون أسماء كثيرة منها بحر بانياس وبحر حيط نسبة إلى منطقة حيط المشهورة بزراعة القمح والواقعة جنوب غرب البحيرة وسميت الملح أو الملاحة نسبة إلى القصور الملحيّة في بعض سبخاتها المجاورة للبحيرة [6] ، وذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان: أن سهل الحولة اكتسب اسمه من بحيرة كانت تحت القسم الجنوبي غرفها اليونان باسم أولاتا وسميت في وثائق رأس شمرا باسم سمخو ويدرك أيضاً أنها كورة بين بانياس وصور من أعمال دمشق ذات قرى كثيرة [7] .

أطلق على ديار الحولة اسم بلاد الخيط والخيط هو نهر الشريعة (الأردن) لاستدامته واستقامته مجرّاً حتى سهل الحولة. ورد ذكر بحيرة الحولة في وثائق رأس شمرا المكتشفة عن زمن الكنعانيين باسم بحيرة سمخو وكرها المسعودي ببحيرة كفرلا نسبة إلى كفرلا القرية التي ذكرها المهلبي في رحلته زمن الفاطميين، وذكر العثماني صاحب مؤلف تاريخ صفد بحيرة الحولة باسم بحيرة قدس لقربها من موقع قرية قدس مما منحها قداسة تاريخية، وكرت الحولة باسم بحيرة الملحة في رحلة ابن الجيعان وفيها الملاحة واطلق عليها بحيرة بانياس نسبة لمدينة بانياس السورية ، واطلق عليها بحيرة سمخون لكثره السمك فيها وكثرة أنواعه

التقى في سهل الحولة ثلاثة أنهار نهر بانياس ونهر اللدان الذي عرف بنهر تل القاضي ونهر سنير من لبنان ويتم اللقاء في بركة تل الشيخ يوسف والتي قيل عنها مربط الماء بسبب هذا اللقاء الذي يشكل نهر الشريعة. لم يكن ماء النهر يصب في بحيرة الحولة بقدر ما أنه كان يمر منها حيث يستمر تدفق النهر وجريانه إلى داخل البحيرة (المي بتسبح بالمي) على حد تعبير أهل المنطقة [8]

تكونت بحيرة الجولة نتيجة تجمع مياه الجبال التي جرفت معها كميات من الطين مكونة بحيرة صغيرة في عاليه الجمال وما يميز البحيرة أنها كانت في أرضيتها جزناً كبيراً صعب خروج المياه من البحيرة ومع تراكم كميات المجرففات والطين وارتفاع القصب في البحيرة باتجاه نهر الأردن الجبلي تكونت المستنقعات شمالي البحيرة واكتست البحيرة بالاعشاب الكثيفة التي شكلت عامل جذب لطيور نادرة وحيوانات مائية كالجاموس الذي انتشر فيها وكذلك انتشار الملاريا في المنطقة والمناطق المجاورة [9] ، وهناك كميات كبيرة جداً من فحم الخث موجودة في رسوبيات البحيرة وهو على ثلاثة مستويات مستوى سفلي رقيق 1 م تقريباً ومستوى أوسط سميك 54 م ومستوى علوي سماكته 13 م وهذه الأنواع من الخث لا تستطيع مياه

الأنهار تصريفها وهي تحتوي على نسبة عالية من المادة العضوية [10].

انتشرت في محيط الدولة عشرات القرى والعزب الفلسطينية منذ فجر التاريخ وحتى نهاية العهد العثماني وفي عصر الانتداب وبعد معايدة سايس بيكو بقي منها في منطقة الدولة: آبل القمح، البوبيزة، بيسمون، التليل، جاحولا، جلينة، الحسينية، الخالصة، آل عيسى الابراهيم، آل الحماده (الحماده)، آل الخطيب (الخطابية)، آل الدوالى، آل الفريجات، خان الدوير، خربة السمان وعين الزاغة، الخصاص، خيام الوليد، الدرباشية، الدرداره، الدواوارة، دريميماس (الحورة)، الزاوية، الزوق التحتاني والزوق الفوقاني، السنبرية، شوكا التحتا، الصالحية، العبسية، عرب الزبيد، العزيزات، العلمانية، عين التينة، غرابة، القبطية، كراد البقاره، كراد الغنامة، اللزاره، المداحلن المفتخرة، الملاحة، المنصورة، منصورة الخيط، الناعمة، الويزية، يردا، التي اعتمدت في معيشتها على تربية الجواميس والماعز وصناعة الحصر وزراعة الحبوب وصيد الأسماك، وقد عمل العدو الصهيوني على استملك الأرضي عن طريق الوكالة في فترة الانتداب من اقطاعيين لبنانيين تملکوا الأرضي منذ الفترة العثمانية. وفي عام 1948م قام العدو باحتلال أراضي الدولة وقراها فشهدت تلك المناطق مجزرة ارتكبها العصابات الصهيونية وقامت بقتل النساء والاطفال والشيوخ واحراق بعضهم أحياء ومن ثم احرق الجثامين أمام عيون من بقي لنقل ما شاهدوه من رعب وخوف ومجازر ليسهل بذلك عملية تفريغ الأرض من سكانها وتهجيرهم ومن ضحايا المجزرة: عدنان توفيق، قاسم ادريس، لطفي زين الدين، بسيم أبو بكر [11]

زراعة في الدولة:

سمى سهل الدولة بجورة الذهب بسبب كثرة الغلال التي كان يغلى بها أهل المنطقة والحبوب التي كانت تكفي لاطعام أهالي صفد وبانياس ومرج عيون. زراعة أهل سهل الدولة القمح والشعير والسمسم والرز بالرغم من أنه قلما يزرع في فلسطين وببلاد الشام تلك المحاصيل وسمى السهل بمرج الرز والوز [12]. كانت النباتات المائية كاللوتس والبردي والبوق والحلفاء تغطي سطح البحيرة وأطرافها وكانت الجزر مغطاة بنباتات يصل ارتفاعها إلى 3م أحياناً لذلك كانت أطراف البحيرة خادعة يصعب الاقتراب منها و المياه صافية رائقة حتى وقت الغيضانات لأن النباتات الكثيفة شكلت حول أطرافها الشمالية مصاف تمنع وصول ما كانت تحمله أنهار من طمي ورسوبات.

نمى في الدولة أشجار السدر والدلب والسنط والسمار والبردي والكلخ والصفصاف والحلف والبابير فبرك الماء الراکض كان لها أثر في تكوين هذه الخميلة الشجرية التي ميزت غابة الدولة عن أي غابة أخرى في فلسطين.

الحيوانات في الدولة:

عاش في البحيرة 260 نوع من الحشرات و95 نوع من القشريات و30 نوعاً من القوافع و21 نوعاً من الأسماك و7 أنواع من البرمائيات والزواحف و131 نوعاً من الطيور المهاجرة بين أوروبا وأفريقيا و3 أنواع من الثدييات [13].

شكلت منطقة الحولة مرتعًا خصباً للمواشي وتربيتها باعتبارها منطقة زراعية مثل الأبقار واللاغنام والماعuz أما غزارة المياه فقد كانت مناسبة ل التربية الجاموس، كما احتوت البحيرة على أنواع مختلفة من الأسماك منها البنّي وكان بعض سكان القرى في السهل يعملون في صيد الأسماك [ولا سيما أهالي قرية الملاحة \[14\]](#)

وقد ذكر المقدسي وجود سمك البنّي في بحيرة البحيرة من زمان الفاطميين وأشار إلى أنه حمل في العصر العباسى إليها من نهر مدينة واسط العراقية.

يهرب سمك البنّي قبل غروب الشمس من بطن البحيرة إلى كتفها على الشاطئ في تقليد يعرفه أهل الدولة لذلك كان صيده يجري عصراً قبل الغروب ومن هنا جاءت أغنية صيد العصاري.

كان البنّي نادراً وصيده صعباً والغرب فيه أنه لم يغادر البحيرة مع النهر إلى طبيرة مثل باقي السمك بل بقي في الدولة وارتبط بها، فالبنّي لم يعرف عنه في أي بيئه مائية في فلسطين سوى الحولة.

ومن الأسماك الأخرى سمك السلور والبريوط وهو الأكبر حجماً ارتبط صيده بأكلة الصيادية مطبوعة بـ رز سهلها.

عرف أهل الدولة أيضاً سمك المشط الأبيض في بحرتهم ومن سمكها العقر الذي يشبه المشط لكنه أصغر منه حجماً وهو من أجل أسماك البحيرة معروفة بلونه الأصفر.

كان صيد السمك يتم بواسطة الجوز وهي الطريقة الأشهر لدى أهل البحرة والجوز هو شبك يربط بفلين من أعلىه وفي أسفله مشبوك بالرصاص، يمد الجوز داخل ماء البحرة لساعات وأحياناً يترك في الماء إلى اليوم الثاني ثم يسحبه الصيادون ويفرغونه من صيده. وفي فترة الانتداب اقتصر الصيد على سمك محكراً ومشروعياً بترخيص من سلطات الانتداب فاقتصر الصيد على سمك النهر في الشريعة فقط وهنا لم تعد البحرة ملكاً لسكان الحولة [\[15\]](#)

أما فيما يخص الطيور فيعيش في الدولة الزاغ والزرزور والسمان وبط جرمان وزوز البحرة وبجعلها كل تلك الطيور كانت تحت مرمى حصى مقالع أهل الدولة، أما الغري فهو سفير البحرة إلى العالم لأنه غير مستوطن فيها إنما يهاجر إليها ويزيورها في بداية شتاء كل عام، يشبه الغري الدجاج لونه أسود وعلى رأسه عرف أبيض اللون تعود أهل الدولة على صيده وأطلقوا عليه اسم غورهم في حين اعتقد البعض أنه سمي بهذا الاسم بسبب بياض غرته. كان وجهاً لذيذة على موائد أهل الدولة وأغنية تردد في سهراتهم فغنوا مطلع الأغنية: ياطير الغري البري... سلمتك أمري وسري.

ولا ننسى طير أبو سعد وهو طير مقدس بالنسبة لأهالي الحولة حتى أنهم حرموا صيده فحاطبوه: لحمك حلال في شرعنا وصيده حرام، هكذا بقي أبو سعد شيئاً على بحيرة البحرة حتى أصبحت رؤيتها مبعثاً للطمأنينة والسكينة لدى أهلها.

وعلينا ألا ننسى الجاموس الذي عاش في تلك القعة الفلسطينية دون غيرها ولا تخلو صور البحيرة أيا كان غرضها أو اتجاهها من الجاموس وكأنه هويتها ودليل إشارة لها. عاش الجاموس في بحيرة الحولة لأنه يبحث عن مكان ليهجر به لا ليرتع به فقد عرف عنه أنه يرعى الكلاء قبل شروع الشمس وفي ساعات العصر قبيل غروبها بينما يظل طول النهار باركا في البحيرة أو ببرك الغاب، فكانت الحولة مقصدًا لكل سكان قضاء صفد من طالبين لحم الجاموس وطليبه فكان لبنة الجاموس حلو وأقل ملوحة من لبنة البقر والماعز فتحدث عنه صاحب كتاب أحسن التقاسيم كما لو أنه دواء صاف بياضه رأبا وباردا في موعدين فخارية.

الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد: أكد الرحالة العرب وغير العرب من أخصب المناطق في بلاد الشام ، وتشير المصادر الرومانية أن منطقة الحولة تنتج نبات البردي الذي يستخدم لصناعة الورق وكان يصدر لمختلف أنحاء العالم، وقد اشتهرت المنطقة بصناعة الحصر والسلال بسبب وجود نبات البردي في محيط البحرة والمستنقعات المائية الكثيرة^[16]. أطلق عليه أهل الحولة اسم البابير وهو نبات دائم الخضرة، تبقى عروقه خضراء على مدار السنة يصل طوله إلى المترین، يزداد قطنه في فصل الصيف، وبعد قطنه يترك في الغابة لمدة أسبوعين يترك حتى يجف ويميل لونه إلى البياض ثم تصف الأعواد على شكل حزم تنقل عن طريق البحرة إلى حيث البيوت والسكن جنوبا حيث تنتظره النساء من أجل نسجه على الأنواع إذ يقوم الرجال بقطع وقطف البابير من الغابة بينما تقوم النساء بقشطه وسله خيطان ثم نسجه حصر على النول. مما من بيت من بيوت الحولة إلا وفيه نول مصنوع من خشب سنتالغابة نفسها.

تحمل الحصر إلى صفد ومن هناك بشرتها تجار نابلس لبيعها في كل أنحاء فلسطين وكان سكان الحولة يحملونها على أكتافهم ويتجولون به بين الضياع والقرى في بانياس ومرج عيون لبيعه وهم يصيرون من البابير يا حصير^[17]. كما استخدمو نبته الحلفا في صناعة الحبال ولغها

يذبح سكان الدولة في أعراسهم الجواميس ويطبخون بلبنها واستحب منه لحم البطش أي عجل الجاموس لقلة دهنه وطراوة لحمه، أما المجهول وهو فحل القطيع فكان يقدم مهرا للعروس بينما الشمبور هو ذلك الذي يتم خصيه من أجل استخدامه لأغراض الفلاحه ودرث الأرض.

كانت صرخة من العيّاط في الغابة تكفي ليترك الجاموس مرتعه مغادرا الغابة نحو أحواشه عند بيوت أهالي الحولة.

سكن أهالي الدولة بيوت الطين وصنعوا الخيام على نوعين: نوع سمي بالعريشة وهو مصنوع من القصب والبابير طويلة ومستورة من جميع أطرافها ومكشوفة فقط من الأمام وكانوا يستحضرون ويصنعون جميع لوازم هذا النوع من القصب أو البابير فتغرس الخيمة بالحصير وعدة جرار وفرشات ومساند ولحف، أما النوع الثاني من الخيام يستخدم في الشتاء ويسمى بيت الشعر الي يصنع من الصوف ويشبه في شكله العريشة لكن لونه أسود ونسيجه قاس.

تكبر الخيمة وتصغر حسب طبقات وأصناف العشائر ومراتبها فتكون ذات أربع غرف أو ثلاثة أو اثنين أو واحدة.

فيما يخص لبس المرأة في سهل الحولة فقد كانت تلبس العضة والفة راماليا وتضع على رأسها غطاء أسود من القماش وتضع الصمادة أو نوع من العقال المصنوع من القماش السود المبروم لكنه مربوط من الخلف بصورة مهملة وتسمى بالعصابة.

كانت المرأة تحمل على ظهرها جرتين مملوئتين بالماء وقد ربطتهما بحبل طويل يصل بين ساعديها وهي تقطع المسافة أكثر من مرة في اليوم بين الخيام وبين النبع المسمى عين الذهب [18].

من أشهر عادات أهالي التي تتميز بها المنطقة عندما يدخل موسم زيارة النبي يوشع في قرية النبي يوشع التي تقع بين الملاحة وجاحولا بالقرب من بحيرة الحولة وهي واحدة من القرى المهجورة ولك في النصف الثاني من نيسان إذ يبيت الزوار حول المقام ما بين ليلة أو ليلتين وكان الموسم يستمر ثلاثة أيام توفي فيها النذور وتذبح الذبائح وتنشد المدائح وتبتهل الصدور، وكانت دفوف ومزاهير دراويش خيام الوليد تصدق من بحيرة الحولة قادمة مع النهر من السهل. كان زوار المكان يشربون من بئر عند المقام وينشلون منه الماء ليحملونه معهم لأحبابهم والطالبين له [19].

الممارسات الصهيونية على بحيرة الحولة وأهلها:

قامت الجمعية البريطانية بدراسة أراضي فلسطين ومياهها عام 1873م وخلصت إلى أنه بالإمكان رى أراضي فلسطين من مياه الشمال وفي عام 1925م تطلع البارون روتسييلد إلى تجفيف بحيرة الحولة ووضع مشروعًا سريًا لها الغرض، وظل حلم امتلاك مستنقعات الحولة لتجفيفها واستثمارها وإنشاء المستعمرات على أراضيها الخصبة براود الصهاينة إلى أن سنتها الفرصة لتحقيق ذلك بعد أن اغتصبوا معظم فلسطين عام 1948م وكان تجفيف بحيرة الحولة أولى الخطوات التي اتخذها العدو لتنفيذ مشروعه لجر مياه الأردن إلى النقب كما كان ذلك التجفيف عنصراً من عناصر مشروعات المياه التاريخية كمشروع لورد ملك ومشروع هيز ومشروع جونستون [20].

طرد الكثير من السكان سواء كانوا من أهالي القرى المجاورة أو من البدو الرحل الذين يعيشون في المنطقة معتمدين على تربية الحيوان مثل عرب زيد وعرب الغوارنة وتدمير القرى العربية على يد قوات الاحتلال بعد تهجير سكانها [21]. وخسر سكان الحولة مصدراً هاماً من مصادر الأسماك وخسرو الكثير من النباتات الطبيعية الصالحة لرعي الحيوانات وفوق كل ذلك حرموا من استخدام موارد بيئتهم الطبيعية بـإزالة معالمها وتغيير طبيعتها وووأقعاها وحل محلهم الغرباء من الصهاينة، وقد قاوم أصحاب الأرضي أعمال التجفيف وقومها معهم الجيش العربي السوري، بضربيه مواقع العمل ومنشأته والمساهمة في تعطيل أعمال التجفيف وعرقلتها ما أدى إلى إطالة مدة العمل التي كانت مقدرة له إلى ضعفها ومضاعفة تكاليف المشروع هذا بالإضافة للحسائر المادية والجسدية. وقد استند موقف سوريا إلى أن منطقة الحولة منزوعة السلاح بحسب اتفاقية الهدنة لـ

يجوز تغيير معالمها وطرد سكانها واستثمار أغراضها لأغراض عسكرية تخت ستار أغراض اقتصادية وإدخال قوات مسلحة إليها.

قام العدو الصهيوني في ليلة 6/4/1951 بقصف القرى الواقعة داخل المناطق المجردة من السلاح تمهدًا لاحتلالها وتمكنوا من فرض سيطرتهم عليها وهي المناطق المحاذية لنهر الأردن من الجهة الغربية لبحيرة الحولة شمالاً حتى جسر بنات يعقوب جنوباً.

وعندما بدأ العمل جدياً بتجفيف البحيرة بهدف زيادة مساحة الأراضي الصالحة للزراعة والتقليل من فقد المياه في البحيرة عن طريق التبخر لخفيف إصابات الملاريا وتحويل البحيرة لمحمية طبيعية [22].

لم يأت المشروع بنتائجها المتوقعة والتي أعلن عنها بل أدى للعديد من المشاكل البيئية والزراعية الخطيرة مثل حرائق الخش وهبوط التربة وغمرها وفقدان الأنواع الحيوانية النادرة المتوسطة في المنطقة إضافة لزيادة الضغط على بحيرة طبريا التي تعد مخزن الأمداد الرئيسي للمياه العذبة في فلسطين والتي أصبحت ملوثة بسبب الرسوبيات التي انتقلت إليها من البحيرة عبر القنوات التي تم فتحها بغرض تجفيف بحيرة الحولة، بينما كانت أرباح المزارعين من الأراضي الجديدة قليلة جدًا.

مع تقدم المشروع وبعد ثلاث سنوات بدأت الانتقادات تزداد إذ تجمع المحتجون في منظمة أنشؤوها آنذاك سميت المنظمة الإسرائيلية لحماية الطبيعة وفشلت محاولات المنظمة لايقاف المشروع لأن للمشروع أهداف احتلالية تجريبية مخفية- لكنها استطاعت اقناع المسؤولين عن التجفيف بالحفاظ على 2.3 كم مربع من مساحة البحيرة كمحمية طبيعية في التسعينات. وبعد أن يئس أغلبية المزارعين من إمكانية استغلال أراضي الحولة.

ففي دراسة حديثة يؤكد البروفسور موشيه غيفن وهو باحث إسرائيلي مختص بشؤون البيئة والأنهار والبحيرات أن عملية تجفيف الحولة في السنوات الأولى بعد النكبة أدى إلى تطورات سلبية رافقها تغيرات مناخية في المنطقة ويستند غيفن الباحث في معهد معرفة الجليل على خرائط قديمة للحولة وعلى معطيات هطول الأمطار في فترة الانتداب البريطاني، ومن هذه الاستنتاجات أن معدل درجات الحرارة في منطقة الحولة قد تعرضت لثلاثة تحولات جوهرية منذ 1946م حتى 2008م وهي فترة تدخل فيها الكيان الصهيوني بالطبيعة مرتين الأولى عندما جفت البحيرة والثانية عندما عادت وغمرت أجزاء منها عام 1995م ما أدى إلى التغيرات كبيرة وسريعة بين التجفيف والغمر في درجات الحرارة وذلك أن المياه كانت تمتص جزء كبير جداً من الطاقة الحرارية التي تطلقها أشعة الشمس. إضافة إلى نقصفي المساحات الخضراء التي عمل على ترطيب المكان فبقيت تربة السهل مكسوقة بعد تجفيف البحيرة في ظل زراعة غير منتظمة وقد اتضح فيما بعد أن سبب هذا الفشل الزراعي أن أرضية البحيرة مليئة بالملح ولا تصلح للزراعة بل شبت فيها العديد من الحرائق لسهولة اشتعال المواد العضوية المتعفنة فيها ما دفع المزارعين لتركها، والامر الذي لم يؤخذ بالحسبان أن تربة الحولة بعد تجفيفها هبطت ثلاثة أمتار عن ارتفاعها الأصلي إضافة إلى تبعثر تربتها في الهواء.

تبين لاحقاً أن ما اعتقد أنه سيتحول لمرج زراعي خصيب أنه ورطة كبيرة فالمواد التي يجرفها معه نهر الأردن خلال مروره بمنطقة تجفيف البحيرة تضر بجودتها ولا بد اليوم من تعويض تلك الخسائر وتعويض المزارعين وتوفير كميات من المياه بأسعار منخفضة وتحويل آليات أخرى لتدارك الخسائر والأضرار الناجمة عن فشل المشروع [23].

75 سم من سطح البحر

وبعد الخسائر الكبيرة للمزارعين الجدد بسبب التلاعب بالبيئة وتغيير قوانينها يحاول الكيان الصهيوني إعادة غمر البحيرة للتمكن من استعادتها شيء منها بعد أن أنهى مشروع الاحتلال الاستيطاني [24].

وفي عام 1994 غمرت الأمطار جزء من المنطقة بالمياه فتم الإبقاء عليها بهدف استصلاح المنطقة وتم العمل على محاولة غمر العديد من الأجزاء الأخرى عن طريق إنشاء 95 كم من قنوات الفيضانات والصرف الضحلة لرفع متوسط ارتفاع منسوب المياه في المنطقة إلى 75 سم فوق سطح البحر.

كان لاعادة الغمر هدفين رئيسيين الأول هو منع أو تقليل التلوث بالنترات من الحث بهدف حماية بحيرة طبريا والثاني هو الحفاظ على تربة الحث بعدم ذراتها تتطاير في الجو ما يجعل المنطقة مغبرة طيلة أيام الصيف.

سمى هذا المشروع مشروع أغمون ويعمل العدو الصهيوني اليوم على استقطاب السياح والزوار سنوياً حيث تعد المنطقة وفيرة بالحياة البيئية وموطناً للعديد من الطيور وهي مناسبة لممارسة الأنشطة الرياضية.

باء المشروع بالفشل أيضاً لأن الطيور المهاجرة إلى أوروبا وأفريقيا لم تعد وتوقفت طيور اللقلق والبلشون والغاق والرهو التي كانت تطير فوق البحيرة في رحلتها مع بدء الشتاء البارد تمر فوق منطقة الدولة لكونها جزء من الشق الأفريقي مستغلة التيارات الهوائية الساخنة المتصاعدة من تبخر مياه البحيرة منها للأعلى في عملية طيرانها الطويل.

نتائج الدراسة:

بلغت أبعاد البحيرة قبل تجفيفها 4'4 كم عرض و 5'5 كم طول ومساحتها حوالي 21 كم مربع في الصيف و 60 كم مربع شتاء أما الأراضي المحيطة بها فبلغت 3500 هكتار مغطاة بالطحالب الخضراء بشكل كامل في الشتاء بسبب ارتفاع منسوب المياه وبشكل جزئي في الصيف مما أدى إلى صعوبة استغلال المنطقة زراعياً. وهذه كانت حجة العدو الصهيوني إضافة إلى أنها مكان تجمع الحشرات والعوض وسبب انتشار مرض الملاريا.

دافعت الأرض عن نفسها أمام الكيان الصهيوني وواجهته وكانت عقبات تجفيف البحيرة كبيرة وكان للأرض بترابها و المياه ترفضه وترفض وجودهم وممارساتهم ضدها فقد كانت عملية القضاء على الأعشاب البرية الكثيفة لاستصلاح الأراضي

وتهيئتها للزراعة عملية شاقة تطلب وقتا طويلا، إضافة إلى ارتفاع منسوب الجير في قاع البحيرة المجففة ما أدى إلى صعوبة زراعتها. إضافة إلى الانسداد الدائم في قنوات الجفيف التي حفرت لتصريف مياه البحيرة وتحويلها إلى نهر الأردن بسبب تراكم الوحل والطمي

عمل الكيان المحتل على خرق الاتفاقية مع سوريا والتعدي على سيادتها وتعرضه للمنطقة المزوعة السلاح وإقامة المنشآت عليها فتقدمت سوريا بشكوى إلى مجلس الأمن فتوقف العمل فترة من الزمن ثم استئنف ما دعى الطرف السوري إلى الرد عسكريا لوقف اعمال التجفيف فأخذ يضرب المنشآت بقذائف مدفعية من حين لآخر لكن العدو استطاع اكمال مشروع الاحتلال والتعدي على حقوق أصحاب الأرض الأصليين.

يعد مشروع تجفيف البحيرة من المراحل الأولى لمشروع جونستون والمشروع الإسرائيلي لجر مياه نهر الأردن للنقب وهما مشروعان يساهمان في تثبيت الكيان الصهيوني وسرقة مياه المنطقة واستجرارها لمصلحة الاحتلال.

كان تجفيف البحيرة مصالح حفية لم يعلنها الكيان الصهيوني لكنه قام بتنفيذها للوصول لغايتها وهي إزالة المعالم الجغرافية الطبيعية للبحيرة والمستنقعات المحيطة بها والذي يعد انتهاكا صارخا لمبادئ حقوق الإنسان لأنه تم في ظروف الاحتلال من جهة وبدون الأخذ برأي أصحاب المنطقة الشرعيين والأصليين من جهة أخرى، بل وقد عمد الاحتلال من خلال هذا العمل لطرد أهالي المنطقة وحرمانهم من حقوقهم في استغلال موارد سهلهم، ومن أبرز المقاصد وأهمها بالنسبة للعدو الصهيوني منع رجال المقاومة من الاستفادة من المعالم الطبيعية في التخفي والحركة ومن جهة أخرى أصبح لدى العدو القدرة على الحركة السريعة في استخدام الآليات والدبابات أثناء العدوان على سوريا ولبنان بعد إزالة الحاجز الطبيعي إضافة إلى أن المنطقة أصبحت مكشوفة للمراقبة ولقصف الطيران.

يعد تجفيف البحيرة حلقة من حلقات مسلسل مشاريع الصهيونية لمصادرة الموارد المائية والطبيعية ونهب أكبر كمية ممكنة من المياه وحرمان الفلسطينيين وشعوب الدول المحيطة بها ويشكل هذا العبث في الطبيعة تبعا للأهواء والمطامع الإسرائيلية انتهاكا وجريمة بحق البيئة والتوازن البيئي والتراث الإنساني.

أدت عملية تجفيف البحيرة إلى تغيير النظام البيئي والتركيبة البيولوجية للمنطقة وتغير التنوع الحيوي لها وكانت النتيجة كارثية، فقد قضي على أنواع كثيرة من الكائنات الحية منها طيور البحيرة والغطاس التي اعتاشت على صيد الأسماك والتي وجدت طليها في برك السمك الزراعية كتعويض عن البحيرة الزائدة مما ألحق الخسائر بالمزارعين، وقد انقرضت أنواع من الأسماك النادرة التي اعتبرت الحولة موطنها الوحيد في العالم أهمها سمكة السيبينيد من فصيلة السردينيات وسمكة من فصيلة سكاليد إضافة إلى ضفدع الحولة الفلسطيني الملون كل ذلك كان مقابل النجاح في القضاء على البعوض

عمل العدو الصهيوني على احتلال وعي الناس بمزاعم حول تحويل المستنقعات لحدائق في سياق مقوله أرض بلا شعب

لشعب بلا أرض ولم تهدف الصهيونية لتحقيق غايات دعائية فحسب بل شرعت بتجنيد التبرعات المالية خلال الخمسينات ولم يجر الحديث في وقتها عن تجفيف بحيرة بل كان الحديث عن تجفيف مستنقعات، وكان رئيس وزراء الكيان ديفيد بن غوريون قد قرر تجفيف بحيرة الحولة واستغلال أراضيها لتكون بيدرا للخضروات والحبوب في ظل تدافع المهاجرين الجدد من الصهاينة إلى فلسطين، لكن منفذوا المشروع والمخططون له لم يستلهمون الاعتبارات الحسابية العلمية بقدر ما كانت اعتباراتهم احتلالية أيديولوجية ترتبط بالمزاعم الصهيونية

طالما زعمت الصهيونية في حملاتها الدعائية لتبرير احتلالها وممارساتها بأنها جفت المستنقعات وحولت القفار والصحاري إلى حدائق خضراء لكن تجربة بحيرة الحولة في شمال البلاد تدلل عكس ذلك ويكشف خبراء الري والزراعة أن المشروع تسبب بمضار كبيرة.

كانت الحولة حالة نادرة بمقاييس عالمية فهي منطقة التقاء المناطق الحارة بالمناطق الباردة ومكان لاستراحة الطيور المهاجرة ومرتع للجاموس ومكاناً لراحة وموطننا لما ندر من أسماك وطيور وبرمائيات وثدييات لم يجدوا في هذا العالم مكاناً لبناء وطن إلا هناك في حولة فلسطين حيث لا بديل إلا الموت والانقراض دونه

فقد هجرت الصهيونية البشر والطيور والسمك والماء والحجر وكل معاش في الحولة من حيوانات بأنواعها المتعددة ودمرت البيوت والأكواخ والأعشاش وممواطن احتمت فيها المخلوقات وطرق ومسارات على ارض أو في السماء وحتى مكان في المياه والأنهار واختفت الحشائش والأعشاب والنبات وزهور اللوتس وأعمدة البابير . كانت الحولة شاهداً قوياً على الحقد الذي يكنه العدو للطبيعة وأهلها وعلى عنجهيته وحبه للدمار والخراب.

[1] خسرو، ناصر، سفر نامة، ص 39

[2] كرد علي، محمد، خطط الشام، الجزء 4 دمشق، 1927، ص 19994

[3] روبنсон، ادوارد ، ت: شنحافي، يوميات في لبنان، م 2، وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة بالترفي، بيروت، 1950، ص 3

[4] حسن، محمود، الحولة، سلسلة طريق القدس لحياة الذاكرة الفلسطينية، جمعية الصدقة الفلسطينية الإيرانية صفا،

[5] حبيب الله. علي، الحولة... بحرة الغوارنة وبر الغر والبابير، 16 يونيو 2021، متراص، <https://metras.com>

[6] المعرفة، وادي الحولة، <https://m.marefa.org>

[7] الحموي، ياقوت، معجم البلدان، الحولة، بيروت، 1957

[8] حبيب الله. علي، المرجع السابق

[9] موسوعة المصطلحات، بحيرة الحولة، مدار، <https://www.madarcenter>

[10] حسن. محمود، المرجع السابق، ص11

[11] عواددة، وديع، بحيرة الحولة...ضحية الرجل الأبيض الإسرائيلي، 11 اكتوبر 2014، القدس العربي، <https://www.alquds.co.uk>

[12] حبيب الله. علي، المرجع السابق

[13] ثوابتها، شروق، بحيرة الحولة، 8 مايو 2022، موضوع، <https://mawdoo3.com>

[14] حسن. محمود، المرجع السابق، ص21

[15] حبيب الله، علي، المرجع السابق

[16] حسن. محمود، المرجع السابق ص19

[17] حبيب الله. علي، المرجع السابق

حبيب على، المرجع السابق. [19]

الموسوعة الفلسطينية، الحولة. [20]

<https://m.marefa.org> المعرفة، وادي الدولة، [21]

نوابته. شروق، المرجع السابق. [22]

عواودة. وديع، المرجع السابق [23]

المعرفة، المرجع السابق. [24]